

الشيخ محمد خير الدين (1902-1993)

مقدمة:

يعتبر الشيخ محمد خير الدين من بين المساهمين في إرساء الحركة الإصلاحية في الجزائر، ومن بين المناضلين في الدفاع عن مقومات الأمة الجزائرية والهوية الوطنية، ومن المشاركين في الثورة الجزائرية.

1- المولد والنشأة:

ولد محمد خي الدين في شهر ديسمبر 1902 ببلدة فرفار، بواحات الزيبان ببسكرة، والده هو خير الدين بن محمد أبي جملين، وأمّه هي الحاجة الزهراء بنت المغربي، له أربعة إخوة، هو أكبرهم، وقد نشأ محمد خير الدين على التربية الدينية، حفظ القرآن، وواظب على الصلاة، وخالط العلماء والمصلحين منذ صغره. وكانت عائلته تمتهن خدمة الأرض التي تعلم الصبر والتعاون. وقد امتهن التجارة.

انتقل محمد إلى قسنطينة لينهل من علم علمائها، ومنها سافر إلى تونس، توفي والده سنة 1924، وتحمل بعده مسؤولية رعاية اخوته والاهتمام بشؤون العائلة وشؤون الفلاحة، تزوج محمد خير الدين عام 1926 ورزق ب تسعة (09) أولاد (06 ذكور، و03 اناث).

في نهاية العشرينات من القرن الماضي وقع صدام بين الشيخ محمد خير الدين وشيخ العرب بن قانة، ونظرا لمضايقات الإدارة الفرنسية انتقل رفقة والدته وإخوته سنة 1930 إلى مدينة بسكرة التي كانت تحت الحكم المدني، وهناك اشترى دارا وبستانا من النخيل وأعدّ مركزا للعمل التجاري.

وفي عام 1934 استدعي الشيخ خير الدين هو وإخوته الذكور لأداء الخدمة العسكرية الفرنسية، لكنه استطاع أن يتملص منها بمساعدة السيد الحاج اسماعيل القسنطيني، الكاتب المكلف بالشؤون العربية والمسؤول عن الوثائق في إدارة الحاكم العسكري ببسكرة، والذي أضاف 10 أعوام في سنّ الشيخ وإخوته.

لقد كان انتقال الشيخ محمد خير الدين من قريته إلى مدينة بسكرة نقطة تحوّل هامة في مسيرته المادية والإصلاحية. حيث انخرط الشيخ في الحركة الإصلاحية تحت قيادة الشيخ الطيب العقبي.

2- تعليمه ورحلاته:

كان الشيخ خير الدين يحضر حلقات الذكر منذ طفولته مع الشيوخ والعلماء الذين كانوا يزورون بيت والده بالقرية التي يسكنها، وقد حرص والده على تعليم أبنائه ومنهم الشيخ محمد خير الدين القرآن والكتابة وقراءة المتون العلمية وإقامة الصلاة والحفاظ عليها.

وكان الشيخ خير الدين يتردد على زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة، وتعلم على يد الشيخ المدني والشيخ الحاج بن علي بن عثمان وغيرهما. انتقل الشيخ خير الدين إلى قسنطينة متجها إلى مسجد الأربعين شريفا الذي يدرّس فيه الشيخ بن زقوطة ويضم حوالي 20 طالبا.

بدأ خير الدين دروسه سنة 1916 على يد أستاذه الشيخ الطاهر في علم النحو والفرائض والفقه وحفظ المتون، وقد دام ذلك مدة عامين، وتعرف فيهما على العديد من الطلبة والشيوخ واتسع أفقه، حيث قدم الشيخ الصالح الرحالي الرياحي الدراجي من تونس والذي ترك أثرا طيبا في نفسية الطلبة ومنهم خير الدين الذي قرر التوجه نحو تونس لإكمال دراسته في جامع الزيتونة.

التحق الشيخ خير الدين بجامع الزيتونة عام 1918، وكان ذلك ذات خريف، حيث انبهر بفارق الحركة العلمية فيه بالمقارنة مع قسنطينة، وانتظم محمد خير الدين في سلك الدراسة وقضى بجامع الزيتونة سبع سنوات منكباً على طلب العلم نال إثرها شهادة التطويح سنة 1925 بعد اجتيازه الامتحان بنجاح بمقالة عنوانها (القسمة عند فقهاء المالكية)، وبدرس في النحو (شرح بيتين من ألفية ابن مالك) متحصلاً على الرتبة الثانية من بين 50 طالبا ناجحاً.

وإضافة إلى ذلك استفاد خير الدين من أمور أخرى خلال وجوده في تونس أشعلت فيه الروح الوطنية، حيث حضر بعض المظاهرات التي وقعت في تونس ضد الفرنسيين، الأمر الذي هبّاه للعمل الإصلاحية والدينية والوطني.

3- وظائفه ومسؤولياته:

يعتبر الشيخ خير الدين من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث حضر اجتماع الرواد عام 1928 مع ابن باديس والابراهيمى ومبارك الملي، والطيب العقبي والعربي التبسي والسعيد الزاهري. وقد

كألفه ابن باديس بمهمة الوعظ والارشاد في منطقة فرفار وضواحيها. كما تولى في إطار الجمعية عدّة مهام هي:

-عضو مشارك في الاجتماع الثاني للجمعية سنة 1932، ثمر مراقبا علما لها

-تولى امتياز جريدة البصائر منذ صدورها في 12/27 /1935 إلى غاية توقفها في 25 /08/ 1939

-عضو في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الاسلامي الجزائري عام 1936

-تولى تسيير جمعية (إعانة الفقراء) ببسكرة إلى جانب الدكتور سعدان

-عين كاتبا عاما لمدرسة الإخاء للتربية والتعليم ببسكرة عام 1931

-شارك في بيان فيفري 1943 إلى جانب فرحات عباس وممثلين آخرين لمختلف الاتجاهات الوطنية

-تولى نيابة رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من 1946 إلى 1956 إلى جانب العربي التبسي

-ترأس لجنة التعليم التي كانت تشرف على المدارس وتنظيم شؤونها

-تولى منصب أمين مال الجمعية بعد وفاة مبارك الميلي

-عضوا مؤسسا في جبهة الدفاع عن الحريات واحترامها سنة 1951

انضم الشيخ محمد خير الدين للثورة منذ 1955، ومارس وظائفها ومسؤوليات عديدة هي:

-ممثلا لجبهة التحرير الوطني في المغرب

-شارك في مؤتمر طنجة بالمغرب الأقصى المنعقد مابين 27 و30 أفريل

1958 إلى جانب فرحات عباس، بوالصوف عبد الحفيظ، عبد الحميد مهري، أحمد فرنسيس، أحمد بومنجل

-عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية.

وبعد الاستقلال تقلد المسؤوليات التالية:

- نائبا بأول مجلس وطني جزائري مستقل من 1962 إلى 1964

- شارك في أول مجلس إسلامي أعلى في الجزائر سنة 1966، وعين عضوا في المجلس نفسه.

- رئيسا شرفيا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الاستقلال رغم توقف نشاطها.

4-وفاته وأثاره:

توفي الشيخ خير الدين يوم الجمعة 10 ديسمبر 1993 بالجزائر العاصمة بعد مرض عضال، ودفن يوم 11 ديسمبر ببسكرة، تاركا بعض المقالات التي نشرت في البصائر والشهاب، ومكتبة من 770 كتابا أهداها لجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة، كما ترك مذكراته في جزأين وبنى مسجدا من ماله الخاص (مسجد السنة) بمدينة بسكرة في الثمانينات من القرن الماضي.

المراجع :

-محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ج1 وج2، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002

- اسعد لهاللي، الشيخ محمد خير الدين ودوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وثورة أول نوفمبر 1954، بيت الحكمة، ط1، 2015، ص-ص 68-55

-محمد الحسن فضلاء، من إعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، مطبعة هومة للنشر والتوزيع، الجزائر 2000.